

النزاع المسلح
في العصور القديمة

الفصل
الثاني

obeikandi.com

الفصل الثانى

النزاع المسلح فى العصور القديمة

يظهر استطلاع تاريخ الشعوب القديمة، أن الحروب كانت تشور لأتفه الأسباب بينها^(١). ويرجع ذلك إلى قلة العلاقات بين هذه الشعوب، وتباين قيمها الثقافية وطرق التفكير فيها، وعدم وجود علاقات إقتصادية أو تجارية قوية بينها على وجه الخصوص.

ومع ذلك، فمع التقدم فى الحضارة الإنسانية، كان من الصعب أن تترك الحروب بدون أى تنظيم. ويبدو أن حضارة الهند كانت سبقة فى هذا المضمار، إذ منعت الحاكم من أن يشن الحرب لمجرد التوسع الإقليمى، وألزمته بأن يسبق شن الحرب بمداومات ومشاورات، بحيث لا يقررها إلا لأسباب خطيرة.

وفى الصين أصبحت الحرب نظاما قانونيا Legal Institution فلا يمكن أن تقوم إلا بين الدولة والوحدات المعتمدة عليها، ولا بين الأسرة الصينية بأقاليمها وقبائلها المختلفة.

وقد ميز العهد القديم بين الحروب الإرادية Voluntary wars التى تشن بقصد التوسع الإقليمى، والحروب الإلزامية Obligatory wars التى تشن ضد عدو يهاجم إسرائيل، فحرم الأولى وأجاز الثانية.

أما فى الحضارة اليونانية وبعد ظهور دولة المدينة فى بلاد اليونان، وكانت القوة والحرب هى العلاقة الطبيعية لدول الإغريق بغيرهم، واعتبرت الحضارة اليونانية أن الأجنبى بصفة دائمة عدو للأغريقى، ولذا قامت بين الأغريق وغيرهم

1. Brounlie, International law and the use of force by states oxford, 1968, B. 3. (١)

حروب كثيرة لعل من أهمها الحروب التي دارت بين اليونان وقرطاجنة والحروب التي دارت بين اليونان والأمبراطورية الفارسية. ولعل هذه العلاقة الحربية بين مدن الأغرريق وغيرهم هي التي تسببت في عدم إيجاد مجموعة من القواعد القانونية التي يمكن أن تنظم حالات الحرب في العلاقات الدولية على خلاف الأمر بالنسبة للعلاقات الداخلية بين دول الإغريق «اليونان» فلقد أورثتنا هذه العلاقات مجموعة من القواعد التي تنظم علاقاتهم بعضهم البعض، كما قد بلغت مبلغا عظيما في الفلسفة والعلوم وفي الفنون والأداب^(١).

ومع ذلك فلقد وجد من المفكرين من يدين الحرب، كما أن المدن اليونانية كانت تبدي أسبابا لقيامها بالحرب، أغلبها يتصل بالدفاع، وكان عدم ابداء هذه الأسباب، يسبب التزام المدينة بالتعويض. ولقد كان للتقارب في الثقافة المدنية بين المدن اليونانية أثره في قيام التحكيم بينها، وفي معرفة العديد من معاهدات عدم الاعتداء التي أبرمت بينها.

بل وجدنا في سبيل الحد من الحروب بعض المحاولات التنظيمية مثل تكوين هيئة دينية عرفت باسم «الأمفيكيثون» وهي عصابة تتكون من مندوبين عن مدن الأغرريق يقسم أعضاؤها على أن لا يعملوا على تدمير أية مدينة عضو في تلك العصابة، أو يقطعوا عنها المياه سواء في الحرب أو في السلم، وأن يقاومو كل من يأتي تلك الفعلة ويدمروا مدينته، كما وجد ما يسمى بحلف «دلفي» وكان بمثابة عصابة تفرض عقوبات ذات طابع ديني، وكانت أعمال الحلف تشابه إلى حد ما مع الهيئة السابقة «الأمفيكيثون» مما يجعلنا نميل إلى أنهما هيئة واحدة^(٢).

(١) يراجع ذلك د. حسين الشيخ، تاريخ حضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية ١٩٨٧م، ص ١١٣.
(٢) يراجع ذلك دراسات قومية وسياسية د. طه بدوي، أ.د/ طلعت الغنيمي، ص ٢٧٤، د. راشد البراوي، الطريق إلى السلام. ص ١٣، ١٤.

وكان من الطبيعي أن تصبغ الحضارة الرومانية حروبها بالفكر اليوناني الذي سيطر عليها، وتميزت به عن المدنيات الأخرى. لذلك نجد أن الفقهاء قد أجازوا فقط الحروب المشروعة *Just ad bellum* وهي تلك الحروب التي تبدأ وفقاً للقانون الوضعي، وبموافقة النقباء *Fetiales* وكانت موافقة هؤلاء لا تنصب على عدالة أو عدم عدالة الحرب، وإنما على اتباع الشكليات القانونية كإعلان.

وعلى ذلك فالحروب الذي شهدها العصر الروماني والتي كان يراد بها الاستعباد والفتح وبسط السيادة على العالم، كان يسبقها إجراء ديني شكلي بعيد عن فكرة العدالة هو إقامة الطقوس^(١).

ولقد نجحت روما من خلال الحروب اليونانية التي دارت بين روما وقرطاجنة والحروب المقدونية التي دارت بين روما ومقدونيا، في أن تغزو بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط وتقوم ببسط وسيطرتها على هذه البلاد، ووضع نظام صارم لم تمكن إحدى هذه الدوليات من الخروج عليه، وأصبحت روما في ذلك الوقت سيدة العالم بلا منازع، وتحقق ما سمي بـ «السلام الروماني» الذي دام زهاء قرنين من الزمان.

لكن السلم الروماني لم يكن بالنوع الذي تبتغيه الإنسانية، إذ لم يكن ثمره إدراك سليم من جانب الشعوب لأهميته وضرورته، ولكن فرضته روما بسلطانها، وبذلك يمكن القول أن السلام الروماني كان سلاماً دعامة القوة وركيزته العسكرية^(٢).

وقد عالج فيلسوف الرومان شيشرون قضية الحروب المشروعة، ورأى أنها لا تكون كذلك إلا إذا سبقها طلب رسمي للترضية، أو إذا سبقها إنذار رسمي. ومع مثل هذه المعالجات للحرب المشروعة في العهد الروماني إلا أننا نستطيع القول

(١) يراجع في ذلك Luis delbez: la notion de guerre. easai, d' analyse dogmatique, paris, 1953. P63.

(٢) د. طه بدوي، د. / الغنيمي، دراسات سياسية وقومية ص ٢٧٥، د. راشد البراوي - الطريق إلى السلام ص ٥١.

بأن القواعد القانونية الدولية كانت متخلفة إلى حد بعيد . ولعل ذلك يرجع إلى أن علاقات الرومان بغيرهم كانت لا تلائمها علاقات دولية سلمية ؛ لأن روما كانت تنظر إلى الدولة الأخرى نظرة خاصة هي نظرة الرئيس إلى المرؤوس . حتى إن النظام الروماني قسم الشعوب إلى :

- ١ - الشعب الروماني وكان له الصدارة .
 - ٢ - الشعوب الصديقة لروما وهي لا تعد مستقلة إزاء روما .
 - ٣ - الشعوب الحليفة لروما وهي المعاهدة والمدن الحرة .
 - ٤ - الشعوب الخاضعة وهي التي تحيا في ظل الحكم الروماني .
 - ٥ - الممالك التي قامت مستقلة سابقا وتوارث عرشها الأباطرة الرومانيون^(١) .
- ولقد كان لمحاولات الفقه الروماني لخلق نظرية أخلاقية للحرب ، تأثيرها على رجال القانون الكنسي الذين أخذوا مصادر قانونهم من القانون الروماني ومن تعاليم المسيحية .
- والخلاصة أن إستخدام القوة في العصور القديمة كان مشروعا ، وأن الحرب فيها كانت مباحة ، بل كانت تعد اختبارا قويا لمدى سيادة الدولة وتقديمها على الدول الأخرى .



(١) يراجع في ذلك أحكام القانون الدولي في الشرعية الإسلامية ، حامد سلطان ، ص ١٠١ .